

استراتيجية الجزائر البيئية *

معالي السيد شريف رحمانى

وزير البيئة وتهيئة الإقليم والسياحة

كلمة بيئة ليست غريبة أو دخيلة على اللغة العربية أو عن القرآن الكريم أو عن الإسلام.

فهى لغويا اسم مشتق من الفعل الماضى بَاءَ بيئة، يقال فى هذا الصدد بَوَّأَ له منزلا أى هَيَّأَ له ويمكن له المنزل المقبول للإقامة.

و علاقات الجزائر علاقات أصيلة وقديمة مع قضية البيئة والدليل على هذا هو الممارسات والسلوكات التى نلاحظها فى صحرائنا الشاسعة فقد أسس أهلها نُظُم استعمال الماء وترشيد تقاسمه بالقسط عن طريق الفوقارة وعن طريق التنقيب قبل أن يكتشف الأوروبيون هذه التقنيات، وحتى الهندسة المعمارية المحلية التى تقينا من الحرارة ومن البرد هى هندسة كان لنا فيها السبق على العالم منذ قرون، وكل ذلك يبين العلاقات القوية العتيقة التى كانت موجودة ومازالت فى مجال الحفاظ على البيئة.

لقد وردت اشتقاقاات البيئة فى القرآن الكريم فى عدة سور كريمة منها قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ الأعراف: ٧٤.

والإسلام فى هذا الصدد يوصينا دائما وأبداً بالحفاظ على الحي والحياة، نعم يخضع الكون الذى نعيش فيه إلى نظام ربانى، لهذا فإن تخلى الإنسان عن استعمال ذكائه والتغافل

* أصل هذا المقال المحاضرة التى ألقاها معالي وزير البيئة وتهيئة الأقليم والسياحة فى مفتتح اليوم الدراسى حول (التربية البيئية فى الإسلام).

عن معرفة قواعد الكون وعدم الانسياق والامتثال لمعايير الكون يجعل الإنسان ضحية غفلته وجهله وعرضة لأثرها.

ولهذا ينبغي جلب اهتمام الإنسان إلى معرفة قواعد الكون، يقول الله تعالى: ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ النمل: ٨٨، ويقول في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ البقرة: ٦٠، ويقول سبحانه ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ الأعراف: ٥٦ وأوصى الإسلام بإحياء الأرض وزراعتها واستصلاحها. فقال رسول الله ﷺ: "إذا قامت على أحدكم القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها".

لقد حدّد العلماء أربع قيم منبثقة من الأصول الإسلامية هي بمثابة موجهات لسلوك الإنسان تجاه البيئة، وهذه القيم هي:

1- قيم المحافظة وتختص بتوجيه سلوك الفرد نحو المحافظة على مكونات الحي والحياة بالغلاف الجوي والثروات المائية والحيوانية والنباتية والمعدنية والحفاظ على الصحة والحفاظ على الهدوء.

2- قيم الاستغلال وتكون في الاعتدال في استهلاك الموارد بدون إفراط ولا تفريط ولا إسراف، وترشيد كل ذلك.

3- قيم التكيف والاعتقاد والابتعاد كل الابتعاد عن المعتقدات الخرافية كالترك بالشجر والتعاويذ والتمايم.

4- قيم الجمال: جمال الصنعة وعظمة الصانع، وتهدف إلى توجيه سلوك الإنسان نحو تذوق جمال الكون وقد قال ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال".

الكل يعرف أن السيد رئيس الجمهورية هو الذي أعطى البعد الحقيقي للبيئة حيث أنشأ منذ ست (6) سنوات وزارة كاملة تهتم بقضية البيئة والمحافظة على الحي والحياة وإنطلاقاً من هذا فقد قمنا بتحضير استراتيجية وتصور والخروج من العمل الظرفي والحملات المتتالية وبعث تصور شامل كامل لقضية البيئة والمحافظة عليها.

ومن هذا المنطلق قمنا بالتعرّف على وضع البيئة في بلادنا هذا هو التوجه الأول.
أمّا التوجه الثاني: فقمنا فيه بوضع تصور انطلاقاً من هاته المعاناة ومعرفة حقيقة وضع البيئة في بلادنا.

و في التوجه الثالث وضعنا أدوات وأقمنا مؤسسات لتنفيذ هذه السياسة.
ثم في الأخير عملنا على ترشيد وإيناس الفرد الجزائري بقضية البيئة والتنمية المستدامة.
نعم لقد قمنا بالاعتماد على معرفة البيئة، وفي هذا الإطار قامت الوزارة بمعية الخبراء بمسح شامل لقضية البيئة وتعرفت على الإشكاليات العدة المطروحة في ميدان النفايات المنزلية والنفايات الخاصة والنفايات الصناعية والتلوث الصناعي والأنظمة الأيكولوجية والتنوع البيولوجي وكل المعطيات التي لها صلة بوضع البيئة.

كانت الجزائر تتكبد تكلفة باهظة من جراء إهمال البيئة والأضرار الناجمة على ممارسة سلوك الإنسان، هذه الأضرار كانت أضراراً نقدية وأضراراً اجتماعية أيضاً تتمثل في الأمراض التي تنجر عن الاعتداءات على البيئة التي بات يعرفها الجميع.

ولقد تحملنا أيضاً تكلفة تتكبدها الجزائر سنوياً فنخسر ما يفوق ثلاثة ملايين فاصل 6 من الدولارات في السنة أي ما يعادل 7 % من الدخل الخام الجزائري.

ومنذ أن بعث فخامة الرئيس، هذه السياسة البيئية قمنا بتقليص هذه التكلفة بمليار دولار وهي قفزة نوعية حقيقية للتقليل من الأضرار البيئية في بلادنا وضمان وسط صحي للمواطن الجزائري.

وانطلاقاً من هذه المعرفة العلمية وضعنا تصوراً واستراتيجية والكل يعرف أن التصور والاستراتيجية والسياسات تترجم في إطار ما يسمى بالقوانين والتجميع وحضرنا في هذا المجال 14 قانوناً سيأتي صيغاً في عدة قضايا مرتبطة بالبيئة.

لهذا وضعنا سياسة للحفاظ على البيئة بالنسبة لقضية الماء وصرف المياه والكل

يلاحظ يوميا القفزة النوعية الحقيقية بالنسبة لتوفير الماء في كل الأماكن وكل الأقاليم وكل المجالات واللجوء إلى كل التكنولوجيات الحديثة في هذا الباب وقمنا كذلك بالحفاظ على الرأس المال الحقيقي بوضع سياسة ناجعة من أجل ترشيد استعمال الماء في بلادنا ومازالت الطريق طويلة أمامنا في قضية الترشيح ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الأنبياء: ٣٠.

ثم تطرقنا إلى قضية النفايات ومنها النفايات المنزلية والكل يعرف ما هي الإشكالية الناجمة عن النفايات المنزلية، هناك نفايات أيضا استشفائية ونفايات صناعية أيضا وهي مضرة جدا وهي الآن مكدسة بآلاف الأطنان بالقرب من المصانع والمكبات والمجمعات العمرانية. أصبحت اليوم لدينا سياسة حقيقية لإزالتها واستئصالها ولدينا أيضا استراتيجية للتخفيف من الاعتداءات على الهواء وتلوث المناخ واستراتيجية أيضا للتقليل من الضجيج وتوفير الهدوء.

فيما يخص الأنظمة البيئية، لدينا الآن أنظمة أساسية وكل نظام لديه مشاكل معروفة ويستلزم حولا لهذه المشاكل بصفة منتظمة، خاصة فيما يخص الساحل.

فعلينا أن نحافظ على الساحل وعلى الشاطئ في قانون يمنع منعاً باتاً البناء في مسافة 100 م أو 200 م، وهي قوانين أعدت للحفاظ على ما يسمى بالمحميات الموجودة في القرب من هذا الساحل إذا لدينا تصور ونظرة ومسح حقيقي للحفاظ على الشاطئ والساحل الجزائري لأنه تراث ورأس مال حقيقي بالنسبة للتنمية والاقتصاد والسياحة.

زيادة على هذا وضعنا استراتيجية للمحافظة على السهول وما أدراك ما السهول والهضاب العليا للحفاظ على التراث وهذه الثروة الحقيقية التي تأوي ملايين من الأشخاص وكذلك الحفاظ على الجبال لأنها هي الخزان الحقيقي للثروات الغابية والمائية للذاكرة والحضارة والثقافة الجزائرية أيضا والواحات احتضنت أيضا الحضارة والثقافة والذاكرة الجزائرية لذا يجب أن نحافظ على كل هذه المهارات المرتبطة بهذا البعد لنجسدها في محيطنا. مفهومها الواسع وليس بالمفهوم الأولي أي الحفاظ المادي التقني والحفاظ على البعد الحضاري لقضية البيئة.

وهنا يكمن دور الإمام والمرشدة الدينية لمناصرة وتفسير هذه السياسة لأن وضع تصورات استراتيجية وسياسات وسن القوانين والتشريعات لا يكفي فلا بد من الخروج إلى المؤسسات لتمرير هذه السياسة في المؤسسات قصد وضع الصلة الحقيقية ما بين المواطن والإدارة ولتمرير هذه السياسة على طريقة الجسور والقنوات وضعنا أدوات جبائية لأننا نؤمن بالعقوبة لكن نحن نمجد ونعطي الأولوية للتحفيز والترشيد عن طريق الجبائية.

لذا وضعنا جبائية إيكولوجية متكاملة إحدى عشرة (11) ضريبة تستطيع عن طريق تطبيقها في الواقع أن تحفز الملوث وفيصبح هو الدافع الايجابي في هذا الإطار.

لقد سنّا عدّة ضرائب تحفز الذي يخزن النفايات الصناعية مثلاً ليقُلّ هذا المخزون وإن لم يقلل فسيُدفع ضريبة على المخزون الذي هو بحوزته.

إن الكل يعرف أن الإفساد والإصلاح في البيئة ينشأ في ذهن الناس وبصفة أدق في ذهن الطفل لأن هذه الذهنية هي التي ستتحول إلى سلوك في المرتبة الثانية، لذلك وجب علينا معالجة هذه الظاهرة من المنبع أي عند الطفل في المدرسة والشارع وفي المسجد، لأن السؤال المطروح هو أي جيل نريد؟

فنحن نريد جيلاً يحافظ على البيئة، نريد جيلاً يحافظ على الحياة، نريد جيلاً يحافظ على الجزائر وعلى الكون.

وانطلاقاً من هذا نقول بأن اكتساب المعارف لا يكفي وإبلاغ المعرفة لا يكفي بدون تفكير والمعرفة كمنقول علمي بغير وعي، لذلك نحن نناشد بالانتقال من التعليم إلى التربية وهو المفهوم الأوسع.

وهكذا نسلي أنفسنا بغايتين اثنتين لا بد أن نجعل من الطفل الناشئ فاعل ينمي الفكر النقدي في كل ممارسته وسلوكاته، فيصبح حامل لعلم منقول لا يعيه.

بعث مدرسة فاعلة يديرها معلم مربّي، مدرسة مفتوحة على بيئتها ومحيطها في إطار المواطنة الناجحة ومن أحسن المدارس على رأسها المسجد.

سيداتي سادتي، تعلمون أن البيئة باتت موضوع اهتمام كافة شعوب العالم وهذا ما نراه في المؤتمرات وعلى الشاشات ونطالعه في الصحف، وعليه فإن مسؤوليتكم عظيمة في هذا الشأن حيث يطلب منكم تخصيص حيزا هاما فيما تلقنونه من خطب في بيوت الله لمسألة البيئة، وهذا ما اتفقنا عليه مع السيد معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف.

في كل الأحوال لا يقبل بناء مستوى معيشتنا على رأس مال الطبيعة باستهلاك الموارد، ماء، تربة، تنوع حيوي لا يمكنه أن يتم بوتيرة أعلى من وتيرة تجدد الطبيعة، لا بد أن نخرج بمعادلة وتوازن بين الاستغلال وتجدد الطبيعة ونعطي مهلة للحياة والطبيعة أن تتجدد فتلكم خطوط حمراء يمنع تعديها ويمنع تخطيها أو القفز عليها وفي هذا الصدد أنا أناشد بتحريض وتحضير الخطاب في المسجد بإدراج البعد العلمي والاقتصادي والتكنولوجي بالنسبة لقضية البيئة حتى نواكب مسيرة الوقت هذا هو المطلوب منا.

إن الاحتكاك اليومي بالناس على مختلف أعمارهم واختلاف مستوياتهم العلمية يجعل منكم أفضل مدرسة للتربية والتعليم والتوجيه والترشيد والتوعية والحث على ضرورة احترام الخلق لمخلوقات الله من عباد ونبات وهواء وماء ليكون الإنسان بحق خليفة الله في الأرض فلا يفسدها.

